رمز الحيوان في الشعر الأندلسي في عصر بني الأحمر الخيل والأسد اختياراً

الباحثة: آمنة باسم عبد الرسول

أ.د. علي مطشر نعيمة

جامعة البصرة ــ كلية التربية للعلوم الإنسانيَّة ــ قسم اللغة العربيَّة

ملخص البحث:

يهدفُ هذا البحث إلى الكشفِ عن الرموز التي يحملها كلٌّ من الخيل ، والأسد تتجلّى في صفات القوة ، والشجاعة ، والأصالة ، والجود ، والكرم ، أستعان بها الشعراء في عصر بني الأحمر من أجل رسم صورة لممدوحيهم تقابل صورتي الخيل ، والأسد وخاصةً فيما يتعلق بميدان الحروب والمعارك .

الكلمات المفتاحية: رمز الحيوان، الشعر الأندلسي، عصر بني الأحمر، الخيل والأسد .

The Symbolism of Animals in Andalusian Poetry during the Reign of Banu- Al-Ahmar: The Horse and the Lion as a Study Choice

Researcher : Amina Bassim Abdul-Rasoul
Prof. Dr. Ali Mutasher Nua'ima
Dept. of Arabic Language, College of Education for Human Sciences,
University of Basrah

Abstract:

The current study aims to interpret the meanings of the symbols that the horse and the lion stand for, including power, bravery, sincerity, abundance, and generosity. During the reign of Banu-Al-Ahmar, poets used these symbols to create an image of those they praised that is strikingly similar to images of the horse and the lion, particularly when it comes to battle fields.

Key words: The Symbolism of Animals , Andalusian Poetry , Reign of Banu- Al-Ahmar, The Horse and the Lion .

المقدّمةُ:

يتناولُ هذا البحث رمز الحيوانِ في الشعر الأندلسي في عصر بني الأحمر الخيل والأسد اختياراً ، لتكون مجالاً للبحث ، وذلك لافتقار الدراسات الأكاديمية التي تناولت هذا الموضوع ، وأهمية هذه الفترة الزمنية وتنوعها من حيث الغزارة الشعرية ، جاء البحث في مقدمة ، فتمهيد ، ومبحثين ، الأول رمز الخيل ، والثاني رمز الأسد ، فخاتمة ، ثم الهوامش ، وقائمة المصادر والمراجع .

التمهيد:

لقد تجسدت عبر التاريخ ، علاقة حميمة بين الإنسان والحيوان لدى الشعراء العرب ، إذ ترك عالم الحيوان تأثيراً كبيراً في عالمهم النفسي ،لذا صوّروا في أشعارهم ما تعجُ بهِ الطبيعة من صور الحيوانات المفترسة ، والحيوانات الأليفة ، حتى أنهم أفردوا لها قصائد وصفية خاصة، أو مقاطع شعرية خاصة بها ، وكانوا قديماً يستهلون قصائدهم بوصفِ عالم الصحراء ، وما تحتويهِ من حيوانات تعيش معهم ، وتشاركهم أفراحهم وأحزانهم .

ووجود الحيوان في الأدب من الظواهر المتأصلة في الحضارة العربية ، لذا سجّل الأدب شعراً ونثراً صور الحيوان ، وحركاته، وطبائعه ، وتفاصيل حياته ، فما نظم شاعر عربي قصيدة الاّ وللحيوان منها نصيب في الأعم الاغلب ، فأن أراد التعبير عن موقف تتجلى فيهِ الشجاعة ، والبطولة ، كان للأسد نصيبٌ في الذكر ، وإنْ كان الموقف للتعبير عن الحسنِ والجمال ، نجد الظبية وبهاء عينيها قد أحضرَ ، وكثير من التشبيهات على هذا المنوال [١]

وقد شكّلت رموز الحيوانات المختلفة في الشعر العربي بشكلٍ عام، لوحات فنية خلاقة جذبت القارئ، تاركة فيهِ سحر الطبيعة وألقها وجاذبيتها، وقد نقلت فكره من عالم الواقع إلى عالم الخيال، إذ تهيمُ النفس وتسبح في فضاءات من الإيحاء واللامعقول، من هنا تحولت هذهِ الرموز إلى أدوات لتحقيق الأثر الإبداعي الفني، الذي يحمل معاني نفسية وشعورية ، تنقل المتلقي إلى عالم سحري جمالي .

أولاً : رمزية الخيل

للخيلِ مكانة عريقة في الأدب العربي ، قديماً وحديثاً ، وقد وصفهُ الشاعر العربي وتغنى بجمالهِ ورشاقتهِ وإخلاصهِ ، وقد غدا رمزاً للانتصار ، والبطولة ، لذا نظم الشعراء فيهِ أجمل القصائد التي تُعبر عن بهجة الحياة .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٨ – حزيران لسنة ٢٠٢٣

وقد تعامل ((العرب منذُ القدم مع الخيل ، فهي مركوبهم في السلم ، والحرب ،الرفيقة في السفر ، فتباروا في وصفها والفخر بها في شعرهم)) [٢]

والخيل من الحيوانات التي نالت عناية كبيرة لدى العرب منذُ الجاهلية حتى الآن ، وقد كان الإنسان العربي يعتزّ بفرسهِ ، ويعدهُ من أهم ممتلكاتهُ ، إذْ كان يحظى بعناية خاصة لدى صاحبه، فهو يعبّر عن تراثهُ وأصالتهُ ، فضلاً عن أنهُ الصديق المخلص والوفي .

وقد ذكر القرآن الكريم الخيل إذْ جعلهُ الله تعالى زينةُ الحياة إذ قال تعالى: ((والخيلُ والبغال والحمير لتركبوها وزينة، ويخلق ما لا تعلمون)) [٣].

وقد بيّن الجاحظ عظمة الخيل، وعدّها من اشرف الحيوانات ((ولا نعرفُ شيئاً من الحيوان أشرفُ اسماً من الخيل ... لانهم يقولون : فرس جواد ، وفرس كريم ، وفرس وسيم ، وفرس عتيق ، وفرس رائع)) [٤]

قد لاقت الخيول عناية من الشعراء في الأندلس، فأشادوا بذكرها وتفاخروا بمناقبها، لأن الخيل من أهم الأدوات في أيّة معركة بوصفها المقاتل الأول، فضلاً عن الفوائد المهمة التي تؤديها مثل المساعدة في التنقل والترحال ، وعلاوةً على كونها وسيلة حربية مهمة [٥] .

أنْ اعتناء الشعراء في الأندلس بوصفِ الخيل، وتعدادِ مناقبها أنما يمثل ((الشعور الوطني لدى الشعراء والغربة والحنين إلى الأوطان، إذْ تكون بمثابة المتكأ والمحفز لهذا الشعور الإنساني)) [٦]

جاء وصف شعراء بني الأحمر، للخيل محمّلاً بالرموز المتنوعة، التي توزعت بين البطولة، والشجاعة، والبسالة، والجود، وغيرها من الرموز التي تدلُ عليهِ ((ولا يغادر الشاعر الواصف للخيول شاردة ولا واردة الا وصفها ابتداءً من كرمِ أصلها ومروراً بما تبدو فيهِ من بهاء الحلّة وجمال الزينة، وانتهاءً بمظهرها المتمثل بالجمال والرشاقة واختلاف الألوان)) [٧] .

ومن ذلك ما نجدهُ في قول الشاعر ابن فركون مادحاً أحد أمراء بني نصر في غرناطة: [٨]

وللقلوبِ سكونٌ من مهابتهِ وللحروبِ على أعدائهِ رهجُ*

وهَّزجُ الخيلِ قد غنّتْ صواهلُها بحيثُ لا رملٌ يغني ولا هزجُ**

يصفُ الشاعر هنا حركة الخيل، وقد حمل البيتان معاني الاعتزاز بالنفس ، والبطولة ، والفروسية ، وقد وصف البيتان احتدام القتال ، تجلّى ذلك بقول الشاعر : (وللحروبِ على أعدائهِ رهجُ) ويبدو واضحاً عناية الشاعر بوصف حركة الخيل ، وتبيان صفاتهِ فهو يهزج .

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٢ – المجلد ٤٨ – حزيران لسنة ٢٠٢٣

ربط الشاعر هزج الخيل بالحروب ، موظفاً رمز الخيل في دلالتهِ على معاني الشجاعة ، والصلابة ، بمعنى أنَّ الخيل كانت رمزاً للرجل الشجاع في الحرب ، فقد ربط الشاعر ابن فركون دلالات القوة بالخيل ، وهذا يكشف عن أهميتهُ في الحروب ، ورمزيته ، في التعبير عن الشجاعة ، والصمود ، في القتال ، وجاء قولهُ ، (وللقلوب ِ سكونٌ من مهابتهِ) كاشفاً عن مشاعر الرهبة التي يشعر بها الناظر للممدوح ، وهذا ما يمنحهُ صفات الهيبة والشموخ ، والرفعة ، ووظّف التشخيص في البيت الثاني ، في قوله : (وهزجُ الخيل قد غنتْ صواهلها) رامزاً بذلك إلى نتيجة المعركة وهي النصر المؤكد لجيش الممدوح .

ونقفُ عند شاهدٍ آخر لابن فركون يوظّف فيهِ الخيل رمزاً جاء فيهِ : (٩)

وأدهمُ* الليل يجدُ السَّرى يتبعهُ من صبحهِ أشهبُ**

قد عُقد الفجرُ لهُ رايةً عِقدُ الدّراري تحتها يُنهبُ

وجيرةُ الحقّ لهم أوجهٌ نورُ الضحى بحسنها يعجَبُ

قد وظّف الشاعر ابن فركون لفظة (أدهم الليل) الذي رمز بهِ إلى الخيل ذات اللون الأسود ، إشارة إلى رحلة ليلية طويلة يتجلّى في نهايتها ضوءُ الفجر .

لقد وظّف الشاعر (ابن فركون) الرمز الحركي ، ألا وهو الخيل ، وسيلة للإشارة إلى الانتقال السريع ، والخيل بذلك يحمل دلالات نفسية ، ومادية معاً ، فهي المنقذ الذي يلبي نداء الإنسان لقضاء رغبته في السفر ، وقطع المسافات الطويلة ، فضلاً عن أنَّها صديق المسافر في الليل ، يؤنس المسافر ويتحول إلى نجم يرافقه في سفرهِ ليلاً ، وبما أنَّ الليل رمز الخطر والخوف ، فقد تحّولت لفظة الخيل ، لتصبح حاملةً لمعاني النجدة ، والأمان ، والتخلص من الخوف .

وصورة الخيل هنا ، قائمة على الحركة ، والحركة واحدة من أهم عناصر الصور الفنية لدى (ابن فركون) في هذا النص ، من هنا نراهُ يركز على هذا العنصر ، إذ تتحول صوره إلى كائنات حية تدب فيها الحياة ،وتتحول الخيل إلى وسيلة لتوصيل المسافر غايته، وتقدم لهُ المعونة في متاعبهِ .

ونجدُ التوظيف الرمزي للخيل في قول الشاعر ابن خاتمة الأنصاري : (١٠)

وتسربل* النهرُ المُطيفُ بدرعهِ لمّا انبرتْ لقراعهِ خيلُ الصّبا

في هذا البيت الشعري ، يوظّف الشاعر صورة رمزية مأخوذة من الواقع الحربي في الأندلس ، قوامها الخيل والدرع تعبّر عن حركة الصّبا، وحركة النهر في فصل الربيع ، والصّبا هي الريحُ الهادئة التي تهبُ ، حاملة نسائم الخير ، والبركة .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٨ – حزيران لسنة ٢٠٢٣

يغدو الخيل هنا رمز البهاء ، والجمال ، والقوة ، والتحدي ، لاسيما أنَّ الشاعر قد عبرّ عن هذهِ المعاني بألفاظ ، حملت معاني الحركة المرتبطة بوصف الخيل في قوله: انبرت لقراعهِ خيل الصّبا ، وكلمة القراع تحمل معاني العنفوان والتحدي ، فقارع القوم : أي ضرب بعضهم بعضاً بالسيوف [١١] ، أي قارع الخيل النهر وهبت نسائم الصّبا المحملة بالخير ، والتي تبشر بالنصر وفي قولهِ : تسربل النهر والمعنى لبس النهرُ الدرع لمّا أقبلت عليهِ خيلُ الصّبا أي استعد وتهيأ وتسلح بالدروع للمواجهة وتحقيق النصر .

وأجاد الشاعر ابن زمرك في توظيف رمز الخيل قائلاً : [١٢]

عليك تحية كالوصل أضحى تقضّيهِ البشاشةُ والعناقُ

ولا زالت جيادك مُقرباتُ لها في كل مكرمةٍ سباقُ

قدم الشاعر(ابن زمرك) شبه الجملة ، في البيت الأول ، تعبيراً عن محبتهِ لممدوحهِ ، وتقديراً لعطائهِ ، وبشاشتهِ معترفاً بجميلِ صنعه ، وكرمه ، وقد لجأ الشاعر إلى الالفاظ الدالة على الاستمرارية ، وعدم الانقطاع في المدح للممدوح ، مثل تحية الوصل ، لا زالت سباقُ ، رابطاً ذلك بكرم الممدوح ، مستعيناً بلفظة الجياد التي ترمز هنا على العطاء والمنح في كل محفل وفي كل حين ، فكرم الممدوح لا محدود ، إذ لهُ في كل مكرمةً سباقُ ، وفي الجياد رمز حركي ، تواصلي ، تتسع ديمومتهُ ليعبر عن الأماكن والأزمان كلها ، معبراً عن السخاء اللامتناهي .

وفي قول آخر للشاعر ابن زمرك ترمز الخيل لامتلاك الممدوح لناصية القول ، والبلاغة إذ يقول : [١٣]

وإنْ هُوَ أجرى جيادَ البيانِ تُباري الرياحَ بفضلِ ارتياحِ

وخيلُ التخّيلُ مهما جرتْ فيُحمَدُ منهنّ فرطُ الجِماحِ

يُخرج الشاعر رمز الخيل إلى آفاق أوسع وأكثر توهجاً ، رابطاً بين المادي ، والمعنوي ما يحقق تفاعلاً خاصاً بين النظام اللغوي ، والتجربة الشعورية ، والتي عبرت عن تجربة الشاعر الخاصة ورؤيتهُ لممدوحهِ الذي أظهرهُ متكلماً فصيحاً ، وبليغاً .

ولأن الرمز هو تفاعل بين ما هو ظاهر وآخر خفي [١٤] فقد لجأ الشاعر إلى رمز الخيل في البيت الثاني رابطاً إياهُ بالتخيل ، للتعبير عن براعة الفكر والخيال ، وقد عبرّ عن ذلك بالاستعانة بعبارة فرط الجماح الدالة على المبالغة والتعظيم ، إذْ نقولُ : وفرسٌ جموح إذا لم يثنِ رأسهُ [١٥] .

نرى أنْ الجماح يحملُ دلالات القوة وهو صفة من صفات الخيل ، التي تعبرُ عن قوتهِ ، وبسالتهِ ، فهو تبارى أي أحد امام الممدوح ، وسيبقى الأخيرُ فخوراً بنفسهِ لاتساع علمهِ ، وشدة بلاغتهِ ، وفصاحة كلامهِ ، ما

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٨ – حزيران لسنة ٢٠٢٣

يعني أنَّ الشاعر وظّف الخيل في سبيل التعبير عن بلاغة الممدوح ، إذْ ربط الجياد بلفظ البيان ، وهو الفصاحة في الكلام ،وربط الخيل بالتخيل .

ونجدُ الشاعر أبو البقاء الرندي قد وظّف رمز الخيل بِعَّدهِ المقاتل الأول في صفوفِ المعركة قائلاً : (١٦)

بحيث تراهُ أول الخيلِ سابقاً وقد أقبلت كالشهبِ من خلفهِ صفا

يتحول الخيل هنا، ليغدو فارساً قوياً من أقوى الخيول الحربية ، سابقٌ للخيولِ الأخرى في عدوهِ ، وشجاعتهِ ، وإقدامهِ ، وهذا المعنى يحملُ في مضمونهِ الإيحاء بشجاعة الملك المقدام ، الذي لا يخشى الأعداء ، وقد أستعان الشاعر بالتشبيه ، إذْ شبه سرعة الخيل بالشهب ، وهذا يعبر عن إعجاب الشاعر بالممدوح ، وهو بذلك يرفع من شأنهِ ويمدحهُ فهو مقدام ، وجريء ، ويقبل على الحرب من دون خوف أو تردد .

وتأتي الخيل رمزاً للأصالة العربية العريقة ونجدُ ذلك في قول الشاعر ابن جابر الأندلسي : (١٧)

وفوقَ عرابِ الخيل عُربٌ أعزّةٌ متى وعدوا لم يُخلفوا للندى وَعْدا

يصف الشاعر ابن جابر في هذا البيت الشعري شمائل هؤلاء الإعراب وأخلاقهم ، وهذا ما جعلهم يتربعون على عرشِ قلبهِ ، فهم قوم اعزّة يوفون بوعودهم ولا ينكثون العهد ، ولاشك أنْ الوفاء يعكس القيم النبيلة التي لطالما تغنى بها الشعراء في قصائدهم فهو من القيمِ المحمودة التي تغنى بها العربي منذُ القدم لذا قيل أنَّ ((الوفاء صفة ترادف الأمانة ، وهي صورة من صور الكرم النفسي)) (١٨) ، إذْ عدّ أحد الخصال الحميدة التي يتمتع بها الفرد فضلاً عن القبيلة التي ينتمي إليها ، وهو من مناقب العرب الأصيلة فهي تعكس جميل أخلاقهُ وصفاتهُ ، فضلاً عن أنَّها قيمة وجودية أصيلة .

وهكذا فقد تحول الخيل هنا إلى رمز يوحي بالأصالة العربية العريقة التي تمتع بها العربي منذُ القدم ، فهم أهل الأصالة والبلاغة .

ثانياً : رمزية الأسد

يعّد الأسد من أشهر الحيوانات دلالة على القوة ، والعظمة ، والهيبة ، وهو من ((الحيوانات المعروفة بشراستها ، وقوتها البدنية ، وقدرتها على الفتك بالأرواح)) (١٩)

يعّد الأسد لدى العرب رمزاً دالاً على الشجاعة ، والإقدام ، وقد وظّفهُ الشعراء في مدحِ الملوك والأمراء ، في العصور كافة ، ومنها العصر الأندلسي .

لقد كان للأسد حضورٌ في قصائد شعراء بني الأحمر ، بوصفهِ رمزاً طبيعياً يحمل معاني الحركة والمهابة ، والعظمة ، ((فالأسد يبثُ الرعب في النفوس حتى وهو ثابت في مكانهِ لا يتحرك)) (٢٠)

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٢ – المجلد ٤٨ – حزيران لسنة ٢٠٢٣

استعان شعراء الأندلس بألفاظ عدَّة دالة على الأسد في شعرهم مثل (الأسد ، والليث، والشبل) وقد تنوعت معانيها ودلالاتها وصورها ، وهذا التنوع في وصف صور الأسد بمختف حالاتهِ وصورهِ ، فضلاً عن التنوع في الأساليب التي فيها من الغموض ، والتعقيد في معانيها ، منح أشعارهم جمالية ، وبعداً خيالياً ، انطلاقاً من أصالة التجربة المعاشة ، وعمق الإحساس بها .

ولشدة القوة والشجاعة التي كان يتمتع بها ملوك غرناطة آنذاك ، فقد كان الشعراء عادةً ما يوظفون الحيوانات التي حملت صفات القوة ، والشجاعة ، في مديح الملوك ، والأمراء ، والولاة ، ليجسدوا صفاتهم البطولية ، وفي مقدمة هذهِ الحيوانات الأسد .

فمن ذلك يقولُ الشاعر ابن فركون : [٢١]

قومٌ إذا لبسوا الدروعَ حسبتَهم أُسُداً حمتْ في غِيلها أشبالها

تستجيب صور الشاعر لرؤاهُ ، فتراهُ يعبر عن بسالة قومهِ بني نصر ، وشجاعتهم ، مستعيناً برمز بطولي ألاّ وهو الأسد ، رابطاً بين الذات والواقع ،والذات ((في أساسها انعكاس للعلاقات الاجتماعية ، ويأخذ الخيال دورهُ في النفاذ إلى جوهر الواقع ، وتكوين النموذج الفني وصياغتهُ على مستوى العمل الفني)) [٢٢]

تتداخل في البيت ألفاظ القوة ، والإقدام ، والشجاعة ، من هنا فقد بيّن الشاعر شجاعة ، بني نصر في الحروب ، موظّفاً التشبيه ، إذْ شبّه بني نصر وهم يرتدون الدروع بالأسود التي تحمي أشبالها وصغارها بكل بسالة ، وقد ساوى الشاعر بين الأبطال من بني نصر ليعبر عن حرصهم الشديد على حماية أبنائهم من أي خطر أو اعتداء ، وهكذا يغدو الأسد هنا رمزاً حركياً يُجسد معاني الحماية ، والأمان ، والشجاعة .

ويتكرر رمز الشجاعة متجسداً في لفظة الأسد عند الشاعر ابن فركون قائلاً : [٢٣]

وأسْدُ رجالٍ من جنودك كلما أُزيحُوا عن الهيجاءِ لم يتزحزحوا

كتائبُ تُلقى عندَ بابكَ كُتْبها من النصرِ والتأييد ما ليس يُشرحُ

جمع الشاعر ابن فركون في هذين البيتين بين أسلوبي التقرير المباشر والتوظيف الرمزي،من خلال قولهُ : (أسدُ رجالٍ) فجمع بين رمز الأسد وما يتمتع بهِ من شجاعة ، وقوة ليربطها بقوة جنود الملك يوسف ، فهم أسودٌ في واقعهم ، لما تمتعوا بهِ من القوة والشراسة في مواجهة العدو .

وتتكرر الصورة الاستعارية الرمزية في قول الشاعر أبي البقاء الرندي مادحاً : [٢٤]

من كلِ ليثٍ فوق برقِ خاطفٍ بيمينهِ قدرٌ من الأقدارِ

من كل ماضٍ ينتضيهِ مثلهُ فيصيبُ آجالاً على الأعمارِ

لبسوا القلوب على الدروعِ وأشرعوا بأكفهم ناراً لأهلِ النارِ

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٢ – المجلد ٤٨ – حزيران لسنة ٢٠٢٣

رسمَ الشاعر لنا لوحة رمزية استعارية ،إذْ نلاحظها تقتربُ من الأسطورة ، فعندما نتخيل صورة الليث مع البرق الخاطف نتخيل أنفسنا أمام لوحة اسطورية مبنية على العالم الخيالي ، فالشاعر قد قدم لنا معنى أسطورياً يتمثلُ بالليث الذي يرمز إلى المقاتلين الأبطال ، والبرق الذي يرمز إلى سرعة الخيل وقوتهم ، فهذا المعنى جسد من خلالهِ الشاعر صور البطولة ، والشجاعة الخارقة ، التي تمتع بها جنود المسلمين في المعركة .

وقد وظّف الشاعر ابن زمرك رمز الأسد في غير قصيدة بوصفهِ دالاً على القوة ، والبسالة قائلاً : [٢٥]

ولكم جنبتَ الخيلَ تعثرُ في الوغى من فوقِها الأُسدُ العوابسُ تزأَرُ

يمزج الشاعر ابن زمرك بين الحقيقة والمجاز ليصور مشهداً بطولياً من مشاهد الحرب ، وكان استحضار الأسد في هذا الوصف الفني للتعبير عن بسالة الجنود ، وقدرتهم على إظهار القوة ، وزرع الخوفِ في نفوس الأعداء ، إذ إنَّ لجوء الشاعر إلى وصف زئير الأسد لهو تأكيد على مدى بسالتهم ، وقوتهم .

وقد ربط الشاعر المنعوت الأسد بالنعتِ العوابس ليحيل الشاعر إلى بطولة المقاتلين وشراستهم في مواجهة الأعداء .

ويتمثل البُعد الرمزي للأسود في أبيات لأبي حيان الأندلسي جاء فيها : [٢٦]

من بني يافثٍ أبي التُرك نشأ صوّروا في أحاسن التصويرِ

صورٌ كالشموسِ تلمعُ نوراً لبسوا في الوغى جُلودَ النمورِ

فهمُ في الجلادِ أشبالُ أسْدٍ وهمُ في المهادِ أشباهُ حورِ

حرص الشاعر الأندلسي على الافتخار ((بالشجاعة وبث قيمها في الآخرين ، وأزرى على صفة الجبن ، وأهله في ظل مجتمع الغلبة للقوي الشجاع)) [٢٧]

والمعاني التي أوردها الشاعر أبو حيان تصبُ في إبراز مظاهر القوة التي يتمتع بها قوم بني التُرك موظفاً رمزين من رموز الحيوانات .

من هنا كان لثنائية (القوة / والعزيمة) حضورها القوي في النص الشعري السابق ، التي عبرت عن شجاعة القوم وبسالتهم في مواجهة أعدائهم ، وحملت في طياتها ما يعبرُ ايضاً عن قوة النفس ، وعنفوانها، ولم يجد الشاعر بدأ من الاستعانة برمزين أساسيين هما (جلد النمور / و أشبال الأسد) ليصف بسالة أبناء يافث ، الذين ورثوا القوة والشجاعة من أبيهم ، تماماً كما ينشأ أشبال الأسد على الشجاعة والبسالة .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٨ – حزيران لسنة ٢٠٢٣

وقد مضى الشاعر في شعرهِ يصور ثنائية (الضعف / والقوة) في سياقات لغوية مختلفة تنوعت بين الأفعال والأسماء ، وكذلك في التعابير والألفاظ الصريحة ، والمضمرة ايضاً موظفاً التوازي والطباق .

وقد تجلّى التوازي في البيت الأخير ، بين الشطر الأول والثاني منهُ :

وهم في الجلاء أشبالُ أسْدٍ

وهم في المهادِ أشباهُ حورِ

فضلاً عن الطباق المعنوي الذي تجلّى في : (الجلاد / مهاد) ، (أشبال أسد / أشباه حور)

إذْ يرتبط (الجلاء وأشبال الأسد) بمعاني الشجاعة والقوة ، في حين يرتبط (المها / أشباهُ الحور) بالضعفِ والسكينة والسلام .

ويتكرر التوظيف الرمزي للأسود في قول الشاعر أبي حيان الأندلسي : [٢٨]

من التركِ ان قابلتَ فالبدرُ طالعٌ لنصفٍ وإنْ قاتلتَ فالليثُ مُخْدرُ

تناسب منهُ الخلقُ أمّا قوامهُ فغضنٌ ولكنْ بالأهلَّةِ يثمرُ

نلاحظُ أنْ الشاعر هنا قد نقل رمزية الأسد من ميدان المعارك الحقيقية المعروفة إلى ميدان المعارك المجازية ، ونعني بها معاركهِ مع المحبوب ، إذْ عبّر الليث عن معاني القوة والبطولة التي أمتاز بها هذا الفارس والتي جذبت الأنظار إليهِ بشجاعتهِ وقوتهِ .

ويؤكد الشاعر ابن جابر في بيتٍ لهُ البعد الرمزي للأسود مادحاً : [٢٩]

فتسمعُ أصواتُ الرجالِ إذ التقوا كما تزارُ الآسادُ وهي غضابُ

يغدو الممدوحون هنا ،متسمين بمظاهر القوة ، التي تتفاعل مفرداتها وتتلاحم مظهرةً قوتهم ، وبسالتهم ، وقد لجأ الشاعر إلى تشبيه أصواتهم بزئيرِ الأسد ، تصويراً لمشهد الاصطدام الذي يتحول إلى لحظة تعجُ بالضجيج والغضب ، والصوت العالي ، وما يزرع الخوف في آذان السامعين .

وتتجسد لفظة الليوث في قول الشاعر ابن هذيل إذ يصور معاناتهُ خلال الأسر قائلاً : [٣٠]

كأني في غاب الليوثِ مُسلّماً يروّعني منها الغداة وثوبُ

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٨ – حزيران لسنة ٢٠٢٣

يصور الشاعر لحظات أسرهِ واضطهادهِ العصيبة ، عندما كان أسيراً معتقلاً ، ويحمل كلامهُ تصويراً لمدى شعورهُ بالخوفِ والاستضعاف ، مشبهاً نفسهُ وكأنهُ حملٌ وديع يتوسط غاب الليوث ، فيسأل نفسه بلسانِ الضعف والمظلومية ، من يعيدُ إليّ حريتي ، وينقذني من وحشية هؤلاء القوم ،

يوظّف الشاعر عبارة (يروّعني) التي جاءت على لسانه ، تعبيراً عن لحظات خوفهِ وهكذا يتحول (غاب الليوث) إلى رمز للتعبيرِ عن أصحاب الجبروت الذي يستقوون على الضعفاء والمساكين .

الخاتمة والنتائج :

ـــــ لقد أتخذ الشعراء الأندلسيون في عصر بني الأحمر الحيوان رمزاً ، إذْ صوروا ما تقع عليهِ أعينهم من الحيوانات فرّمزوا الخيل، والأسد وغيرها من الحيوانات الأخرى .

ـــــ صوّروا الأسد بما يحملهُ من الشجاعة ، والقوة ، والبسالة ، ليرمزوا من خلالهِ إلى ممدوحيهم من الملوك ، والأمراء ، والقادة .

ـــــ عندما يريدون الحديث عن الجود والأصالة فما لهم غير الخيل ليمثل لهم هذهِ المكانة .

ـــــ لقد اختلفت نظرة الشعراء وتعبيراتهم عن الحيوانات (الخيل ، والأسد) كلٌّ بحسب ما يحسون ، وما يشعرون بهِ ، وما يؤثر فيهم ، فنتجت عن ذلك قصائد ومقطعات شعرية جسدت رموز هذهِ الحيوانات بما حملتهُ من معانٍ ، وأفكار ، أراد شعراء بني الأحمر التعبير عنها رمزاً .

الهوامش :

(١) يُنظر: الحيوان في الأدب ، شادي هادي شكر : ٧/١

(٢) صورة الخيل في شعر أبي تمام والمتنبي ، إيمان زهير حسين ، رسالة ماجستير ، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية ،٢٠١٣م :١٤

(٣) سورة النحل : الآية ٨

(٤) الحيوان ،الجاحظ ،تح: عبد السلام محمد هارون : ٢٧/٧

(٥) يُنظر: وصف الطبيعة في الشعر الأندلسي في عصر الخلافة ، نادية صالح راشد أبو عودة ، رسالة ماجستير ،كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية ،١٩٩٥م : ٦٨

(٦) دور الشعر في تأصيل قيم النزعة الإنسانية (الشعر الأندلسي وشعر إيليا أبو ماضي أنموذجاً) ،د. شيماء هاتو فعل ، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية ،مج ٣٦ ، ع ١ ،٢٠١١م :٧

(٧) وصف الطبيعة في الشعر الأندلسي (قراءة وعرض) ، د. ستار جبار رزيج ، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية ،مج ٢٦ ، ع ٢ ، ٢٠١١م : ١٠

(٨) ديوان ابن فركون ،تقديم وتعليق : محمد ابن شريفة : ٣٣٣

* الرهج : الغبار الذي تثيرهُ الخيول نتيجة احتدام الصراع في المعركة ، يُنظر: لسان العرب : مادة رهجَ

** الهزج : الخفة وسرعة وقع القوائم ، ووضعها ، يُنظر: المصدر نفسه : مادة هزجَ

(٩) ديوان ابن فركون : ١٠٧

* الأدهم : الأسود ، ويكون في الخيل والإبل وغيرهما ، يُنظر : لسان العرب :مادة دهم

(١٠) ديوان ابن خاتمة الأنصاري ،تح: د. محمد رضوان الداية : ١١٩

(١١) يُنظر: لسان العرب ، ابن منظور : مادة قَرَعَ

* السربال: القميص والدّرع وقيل: كل ما لُبس هو سربال ، يُنظر: لسان العرب :مادة سرْبَلَ

(١٢) ديوان ابن زمرك الأندلسي ،تح: د. محمد توفيق النيفر : ٣٢١

(١٣) المصدر نفسه : ٧٤

(١٤) يُنظر: في النقد الحديث ، نصرت عبد الرحمن : ١٥١

(١٥) يُنظر: لسان العرب : مادة جمحَ

(١٦) ديوان أبي البقاء الرندي ، تح: د. حياة قارة : ١٧٤

(١٧) شعر ابن جابر الأندلسي ،صنعه : د. أحمد فوزي الهيب : ٣٧

(١٨) الثنائيات المتضادة في شعر المخضرمين ، نضال أحمد باقر ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٨م : ١٤٢

(١٩) الأسد في الفكر العراقي القديم (التأثير والتأثر) ،دراسة تاريخية تحليلية ، رويدة فيصل موسى ، مجلة كلية الآداب ،ع ٩٨ ، ٢٠١٢ م : ٢٤٢

(٢٠) صورة الأسد عند أبي زبيد الطائي ، ثناء عياش ، مجلة دراسات ، مج ٤٣ ، ٢٠٠٧ م : ٧٢٩

(٢١) ديوان ابن فركون : ١١٧

(٢٢) الصورة الفنية في قصيدة الرؤية ، عبدالله عساف : ٨٨

(٢٣) ديوان ابن فركون : ٢٠٦

(٢٤) ديوان أبي البقاء الرندي : ٢٥٦

(٢٥) ديوان ابن زمرك الأندلسي : ٤٥

(٢٦) ديوان أبي حيان الأندلسي ، تح : د. أحمد مطلوب، د. خديجة حديثي : ١٩٩

(٢٧) مظاهر من الحياة الثقافية والاجتماعية في العصر الجاهلي في كتاب المفضليات ، ماهر أحمد ، مجلة مؤتة ،مج ٢٢ ، ع ١ ، ٢٠٠٧ م : ٢٨

(٢٨) ديوان أبي حيان الأندلسي : ١٨٨

(٢٩) شعر ابن جابر الأندلسي : ٢١

(٣٠) ابن هذيل التجيبي الغرناطي (ت ٧٥٣ه) ، حياتهُ وما تبقى من شعره ، مجلة جامعة تكريت للعلوم ، مج ١٩ ،ع ٧ ،٢٠١٢م : ٢٧٦

مصادر البحث :

أولاً :المصادر والمراجع

١ــ القرآن الكريم
٢ــ الحيوان ، الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط٢ ، مكتبة مصطفى الحلبي وأولادهُ ، مصر ،١٩٦٨م
٣ــ الحيوان في الأدب ، شادي هادي شكر ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ،ط١ ، ١٩٨٥ م
٤ــ ديوان ابن خاتمة الأنصاري ، تحقيق : د. محمد رضون الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت لبنان ، دار الفكر ، دمشق سوريا ، ط١ ، ١٩٩٤ م
٥ــ ديوان ابن زمرك الأندلسي ، تحقيق : د. محمد توفيق النيفر ، دار الغرب الإسلامي ، ط١ ، ١٩٩٥م
٦ــ ديوان ابن فركون ، تقديم وتعليق : د. محمد ابن شريفة ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية سلسلة التراث ، ط١ ،١٩٨٧م
٧ــ ديوان أبي حيان الأندلسي ، تحقيق : د. أحمد مطلوب و د. خديجة الحديثي ، مطبعة العاني ، بغداد ،ط١ ، ١٩٦٩ م
٨ــ ديوان أبي الطّيب صالح بن شريف الرُّندي ، (ت ١٢٨٥ ه) ، تحقيق ،د. حياة قارة ، دار الوفاء للنشر، الإسكندرية ، ط١، ٢٠١٠ م
٩ــ شعر ابن جابر الأندلسي : صنعهُ ، د. أحمد فوزي الهيب ، دار سعد الدين للطباعة والنشر ، ط١، ٢٠٠٧م
١٠ــ الصورة الفنية في قصيدة الرؤية ، عبدالله عساف ، سوريا ، دار دجلة ، ١٩٩٦ م
١١ــ في النقد الحديث ، دراسة في المذاهب النقدية وأصولها الفكرية ، نصرت عبد الرحمن ، عمان ،مكتبة الأقصى ، ط١ ، ١٩٧٩ م
١٢ــ لسان العرب ، ابن منظور ، دار احياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، ط٣

ثانياً : الرسائل والأطاريح

١ــ الثنائيات المتضادة في شعر المخضرمين ، نضال أحمد باقر ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٨ م

٢ــ صورة الخيل في شعر أبي تمام والمتنبي ، إيمان زهير حسين ، رسالة ماجستير ، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية ، ٢٠١٣ م

٣ــ وصف الطبيعة في الشعر الأندلسي في عصر الخلافة ، نادية صالح راشد أبو عودة ، رسالة ماجستير ،كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية ،١٩٩٥م

ثالثاً : البحوث المنشورة

١ــ ابن هذيل التجيبي الغرناطي (ت ٧٥٣ه) ، حياتهُ وما تبقى من شعره ، مجلة جامعة تكريت للعلوم ، مج ١٩ ،ع ٧ ،٢٠١٢م

٢ــ الأسد في الفكر العراقي القديم (التأثير والتأثر) ،دراسة تاريخية تحليلية ، رويدة فيصل موسى ، مجلة كلية الآداب ،ع ٩٨ ، ٢٠١٢ م

٣ــ دور الشعر في تأصيل قيم النزعة الإنسانية (الشعر الأندلسي وشعر إيليا أبو ماضي أنموذجاً) ،د. شيماء هاتو فعل ، مجلة أبحاث البصرة (العلوم الإنسانية) ،مج ٣٦ ، ع ١ ،٢٠١١م

٤ــ صورة الأسد عند أبي زبيد الطائي ، ثناء عياش ، مجلة دراسات ، مج ٤٣ ، ٢٠٠٧ م

٥ــ مظاهر من الحياة الثقافية والاجتماعية في العصر الجاهلي في كتاب المفضليات ، ماهر أحمد ، مجلة مؤتة ،مج ٢٢ ، ع ١ ، ٢٠٠٧ م : ٢٨

٦ــ وصف الطبيعة في الشعر الأندلسي (قراءة وعرض) ، د. ستار جبار رزيج ، مجلة أبحاث البصرة (العلوم الإنسانية) ،مج ٢٦ ، ع ٢ ، ٢٠١١م

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٢ – المجلد ٤٨ – حزيران لسنة ٢٠٢٣